المنفى الوجودي بين جدلية الاغتراب وتشظي الهوية
قراءة في رواية بريد الليل لهدى بركات أنموذجا

Existential exile between the dialectic of alienation and identity fragmentation Reading Houda Barakat's novel "Night Mail" as a model

الدكتورة/ ميزان مفيدة

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر).

مخبر الترجمة وتحليل الخطاب والدراسات الثقافية الرقمية

mizane.moufida@univ-khenchela.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/10 تاريخ القبول: 2026/01/17 تاريخ النشر: 2026/09/15

ملخص:

يشكّل المنفى الوجودي فضاءً دلاليًا وجماليًا يكشف عن مأزق الإنسان المعاصر، ويدفعه إلى معايشة حالة اغتراب مركّبة، تتقاطع فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية لتشكّل صورة مميزة للذات الممزقة ، لما تحمله من تجارب إنسانية عميقة تُترجم عبر اللغة والسرد .والرواية واحدة من هذه الأشكال الأدبية باعتبارها تجربة فكرية وميدانا رحبا يعكس هواجس الإنسان وكل ما يختلج الصدر من معاناة؛ فقد كانت –أي الرواية- شاهدا على بشاعة ما تعرضت له مصائر الأفراد من نفي وسجن، الرواية اللبنانية المعاصرة واحدة من هذه الأعمال التي حاولت أن تعكس هموم الإنسان المعتقل الذي يعيش آلم النفي والاغتراب المكاني ، ومن الروايات التي صورت لنا ظاهرة الاغتراب رواية بريد الليل لـ هدى بركات من خلال حكايات أصحاب رسائل كتبها مهاجرون ومنفيون يعيشون حالة الضياع والانفصال عن أوطانهم،

الكلمات المفتاحية: المنفى؛ الإغتراب؛ مأزق الهوية؛ حنين الذاكرة؛ بريد الليل.

Abstract:

Existential exile represents a semantic and aesthetic space that reveals the predicament of contemporary humanity, compelling individuals to endure a complex state of alienation where psychological, social, and political dimensions intersect to shape a fragmented self. This condition embodies profound human experiences articulated through language and narration.

The novel, as a literary form, functions as an intellectual endeavor and a wide arena reflecting human anxieties and suffering, bearing witness to the brutality of exile and imprisonment. Contemporary Lebanese literature has

engaged deeply with these concerns, portraying the anguish of individual storn by spatial exile and estrangement. Houda Barakat's Night Mail exemplifies this phenomenon through the letters of migrants and exiles who experienced a state of loss and separation from their homelands.

keywords:Exile; Alienation; Identity Dilemmas; Nostalgia of Memory, Night Mail

مقدمة

يعد أدب المنفى أو أدب التمزق ظاهرة أدبية مرتبطة بتجربة النفي القسري أو الاختياري، حيث يعبر هذا الأدب عن شتى مشاعر الاغتراب، الحنين إلى الوطن، الألم النفسي، والتمزق الداخلي الذي يتعرض له الفرد المنفي. وهو ليس نوعًا أدبيًا مستقلاً بحد ذاته، بل يمتد ليشمل جميع الأجناس الأدبية مثل الشعر، الرواية، القصة القصيرة، المسرحية، والملحمة، حيث يتميز بمرونته في التعبير عن قضايا النفي والهجرة، وتجلياتها النفسية والاجتماعية والوجودية. وينبع هذا النوع من الأدب من ثورة داخلية يعيشها اللاجئ، ممزقًا بين انقسامات داخلية وصراعات نفسية. كما يكشف أحيانا أدب اللجوء عن شخصية اللاجئ المكتئبة، المنعزلة، والبعيدة عن معترك الحياة،

إن تجربة المنفى لا تقل وطأتها عن محنة الطرد والعقاب بالتهجير القسري، إذ أنه من أكثر المصائر إثارة للحزن عند إدوارد سعيد، الذي يرى أن تجربة المنفى بالرغم مما فيها من ويلات الأسى ومكابدة الألم، يصبح بمقدور المبدع تحويل هذا الواقع لصالحه والإعلاء من شأنه، ثم تطويعه ليصير تجربة جمالية مشرقة، تمتح من مساحات الضوء التي تلقيها ظلال الاغتراب والحنين إلى الوطن، لتسهم في إنشاء أدب محوره الذاتُ والوجود الإنساني، فأدب اللجوء هو من المصطلحات الحديثة المتداولة في عصرنا الحديث بين النقاد والباحثين، أما في الأدب العربي، فقد برزت ثيمة المنفى منذ العقود الأولى للقرن العشرين مع تجارب المهجر في الأمريكيتين، حيث عبّرت نصوص جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة عن حنين جارف إلى الوطن المفقود وعن معاناة الغربة. ومع تحولات التاريخ العربي، من نكبة فلسطين إلى الحروب الأهلية والنزاعات المتكررة، أخذ المنفى أبعاداً جديدة لم تقتصر على الجغرافيا، بل شملت التشرد النفسي وتفكك الهوية الفردية والجماعية. وفي هذا الإطار جاءت أعمال أدبية عديدة لكتّاب عرب معاصرين، لتضع مسألة الاغتراب في قلب الإبداع السردي، باعتبارها جوهر التجربة الإنسانية في عالم مضطرب.

وتعد الكاتبة اللبنانية **هدى بركات**.[1] واحدة من اللواتي خضن تجربة الكتابة في أدب اللجوء بحكم أنها هي أيضا فرد لاجئ في روايتها **بريد الليل** رواية مقتبسة من العقل المبدع للكاتبة العربية المعروفة، وتعكس إحساس هذه الشخصيات الباطني تجاه مشاكل المهاجرين وتلفت أنظار القراء إلى مشاكل النازحين السوريين واللبنانيين، لهذا اارتأيت أن أعالج هذا الموضوع من خلال جملة من التساؤلات ألا وهي:

1- كيف تجسدت نزعة المنفى أو اللجوء في رواية بريد الليل؟ وكيف أعادت الكاتبة استدعاء الذاكرة من خلال رسائل المنفيين؟

2- ما هي التحديات التي تواجها هوية الشخصيات في رواية بريد الليل؟

أولا- تجليات المنفى الاغترابي في رواية بريد الليل

يُعدّ المنفى واحدًا من أكثر المفاهيم حضورًا وإشكالية في الفكر الإنساني عامة، وفي الأدب بخاصة، إذ يتجاوز كونه مجرّد انتقال جغرافي قسري من مكان إلى آخر، ليغدو تجربة وجودية عميقة تتصل بالهوية والذاكرة والانتماء. فالمنفى ليس فقط فقدانًا للوطن المادي، بل هو أيضًا فقدانٌ للانتماء الرمزي، وانكسار في العلاقة بين الفرد وذاته، وبين الفرد والعالم. وقد ذهب إدوارد سعيد إلى اعتبار المنفى "أحد أشدّ التجارب الإنسانية قسوةً، لأنه يخلخل الشعور بالثبات ويعيد صياغة الوعي بالذات والعالم على نحو مأساوي ما يولد حالة من الاغتراب التي تمثل ظاهرة وحالة نفسية واجتماعية تسيطر على الإنسان وتجعله يحس بالبعد والانفصال عن مجتمعه وواقعه "شعور متأزم مصاحب بالقلق والحزن، وهو لا ينتاب المرء من حين لآخر، وإنما هو حالة مصاحبة له باستمرار تزداد قوة وضعفا في بعض الأحيان، ولكنها لا ترقه وهكذا يحس الفرد بالانفصال عن الواقع والذات، فتحدد له ثورة داخلية تدفعه إلى الرفض والتمرد"[2]. فالاغتراب هو حالة واقعية تلازم الإنسان وتسيطر عليه؛ فيصير غريبا على واقعه

تصور رواية "بريد الليل" أزمة المهاجرين العرب في أوروبا، من خلال رسم مسار موجع للشخصيات عبر الرسائل التي تعكس اضطرابهم النفسي وتكشف عن معاناتهم في المنافي حيث نجد. "أبطالها منفيون ومهاجرون من العرب، يعترفون بكتابة رسائل لا تصل أبدا، يتألمون بالكتابة، مثقلون بالماضي، وبالعائلة، وبالعواطف، ومثقلون أيضًا بالجرائم والذنوب، وبينما تنتقل رسالة السارد الأول بالصدفة العبثية إلى السارد الذي يليه، فتحرض من جديد على السرد، فإن اللعبة كلها تبدو عبثية عبث في المنفى، وعبث وعبث فيما حدث في أوطانهم المنكوبة بالحروب والقهر[3]، هؤلاء المهاجرون الذين تركوا أوطانهم تحت وطأة الحروب والفقر، ليواجهوا مصائر مجهولة في بلاد جديدة، ليجدوا أنفسهم في مواجهة واقع لا يقل قسوة عن الذي فروا منه، حيث

"ألقت ظاهرة اللجوء بظلالها على حياة الإنسان فكريا ونفسيا وعضويا ليغترب جغرافيا بجسده عبر اللجوء من مكان إلى آخر أو بالانطواء على الذات ورفض الأعراف الاجتماعية السائدة أو بإنكار النظام القائم بأيديولوجياته جميعها، وأحيانا بنبذ القيم الدينية والروحية"[4]

هذه الرسائل التي تغوص في أعماق الوجود الإنساني والوجداني تنتقل من شخص إلى أخر، والشخص الذي يجد الرسالة ينطلق من خلالها ليكتب رسالة أخرى فلا يحدث لقاء ولا تقاطع بين الشخصيات، فكل منها يسير في طريقه الخاص رغم تحركه نحو هدف اللقاء مع الآخر المخاطب، ذلك اللقاء الذي يظل بعيد المنال؛ فالشخصيات التي تتناوب على كتابة هذه الرسائل هي أصوات متشظية، تبحث في العدم عن مستمع محتمل يخفف عنها ثقل العزلة، لكنها في الوقت نفسه تعيد إنتاج غربتها الداخلية عبر خطابها المليء بالندم والخذلان.

.تختتم الرواية بقصة ساعي بريد في بلد عربي مدمّر، يعيش محاطًا بالرسائل وينتظر نهايته في حرب قضت على كل فرص الحياة الممكنة. من أبرز الشخصيات التي تتناقل عبرها الرسائل وتنطلق من خلالها الى كتابة رسالة أخرى نجد شخصية الراوي في الرسالة الأولى وهو شاب مهاجر في فرنسا يعاني من صدمة الغربة وعلاقته المضطربة مع والدته وفي الرسالة الثانية امرأة تكتب لحبيبها، تعبر عن الوحدة والحنين والشكوك، وفي الرسالة الثالثة ابن في المعتقل، يتحدث عن التعذيب والاضطهاد، وصولا للرسالة الرابعة نجد فتاة تعمل مومسًا تكتب لأخيها، تبرر أفعالها وسط ظروف قاسية، أما الرسالة الخامسة رجل يكتب لأبيه حتى يكشف عن معاناته من قسوة الأب وتأثيرها على ميوله. وسلوكياته، وفي الفصل الأخير تظهر شخصية ساعي البريد، الذي يمثل الرابط بين هذه الرسائل، لكنه يعيش حالة من اليأس والتشرد في بلد عربي مدمر. هذه الشخصيات تمثل شرائح مختلفة من الواقع العربي المهجر، وتتنوع بين الحبيب، الحبيبة، الابن، الأخت، والمثلي، والمومس، والقاتل، مما يعكس تنوع الألم والاغتراب في الرواية.

تعيش شخصيات الرواية نوعا من الاغتراب المكاني هو مرارة الغربة، حيث يُجبر الإنسان على الابتعاد عن حضن الوطن الذي شهد ميلاده ونشأته، سواء برغبة منه أم بنفي قسري غالبًا ما تعتصر قلب المغترب مشاعر جارفة، فمفارقة المكان المألوف كفقدان جزء من الروح فالعلاقة بين الإنسان ووطنه علاقة فريدة، تتغلغل في وجدانه وتؤثر فيه بلا هوادة، إذ لا يكتفي الفرد بمجرد مساحة جغرافية يعيش فيها، بل يطمح إلى أرض يزرع فيها جذوره، وتتجذر فيها هويته. وهكذا، يصبح البحث عن الكيان والهوية فعلًا يتجسد في التفاعل مع المكان، حيث يحول الإنسان هذا المكان إلى مرآة يرى فيها صورته الذاتية، فاختياره للمكان وتهيئته له يشكلان جزءًا جوهريًا من بناء شخصيته الإنسانية. حيث تسلط الرواية الضوء على مصائر المهمشين من المهاجرين والمنفيين، أولئك الذين دفعتهم الحروب والثورات في أوطانهم العربية إلى الرحيل بحثًا عن ملاذ آمن. ومع أن

تلك الوجهات الجديدة بدت لهم في البداية خيارًا أفضل، "اكتشفت أن هناك طرقا للسفر قلت مهما تكن الأثمان والأخطار فسأسافر في أي بلد من بلدان الله سيكون وضعي آمنا وسأبدأ حياة جديدة"[5]. ما يعكس حالة الحتمية في اختيار السفر كخيار حيوي للبقاء على قيد الحياة بشروط أفضل، ويذكرنا بقوة الإرادة والأمل في بناء مستقبل جديد بالرغم من المخاطر.

تعالج رواية **بريد الليل** للكاتبة **هدى بركات** هموم الإنسان المهاجر المغترب الذي اختار الهجرة بحثا عن حياة معيشية أفضل في المنافي ومعاناته أين "يصنع النفي الضياع، وينتج الضياع الخوف، وينشب الخوف أضفاره في الذات المغتربة ليشل قدرتها على التذكر والحركة فتجربة المنفى القسري تلقي بضلالها وقسوتها على شخصيات الرواية التي تعاني الاغتراب المكاني في غياهب المنفى

إن جهل لغة الاخر في بلد المنفى جعل شخصيات الرواية تعيش حالة من التشتت والضياع في المكان الجديد لأن "اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي روح الأمة وهويتها التي لا يمكن فصلها عن تاريخها وثقافتها"[6]. وشخصيات الرواية تعيش ضياعا بسبب عدم اتقان لغة الآخر، وهو ما جاء على لسان الساردة قائلة: "أنا لا أملك إحساساً بالاتجاهات. أصبح بسرعة، وحين أضيع وأخاف لا أعود أجد أياً من العلامات التي كنت عاينتها على الطريق كي لا أضيع. تسند الرؤية في عيني وأصبح هلمي كالعمياء، ولا أجرؤ على سؤال المارة عن طريق عودتي إلى الفندق"[7].فالمنفي يعيش مشتتا بين واقع الغربة ومشاعر اللانتماء وبين حرقة التذكر ولوعة الواقع المر، لأن "ذاك الوطن، شديد الالتصاق برجفة قلبه، يحتل مساحة ذاكرته عبر اللحظات يوجعه حنينه إليه، ويقتله الإحساس بالابتعاد والخسارة يستحيل الوطن وجعا يغزو المنفى"[8]. تكشف الكاتبة **هدى بركات** عن بواطن شخصيات الرواية وما يجول في خاطرها حيث الكاتبة في هذا المشهد إلى المونولوج، لأن الانسان عادة يعيش مع نفسه أكثر مما يعيش مع الآخرين ، فالشخصية تخاطب ذاتها كيف لهذا الآخر الذي يتبجح بشعارات الديمقراطية والحرية أن يكون زائفا ومدعيا قائلا " قَلْما أَسَافِرُ البُلْدَانُ القَلِيلَةُ الَّتِي سَافَرْتُ إِلَيْهَا أَصَابَتْنِي بِالخَيْبَةِ خَيْبة حقيقية، لَيسَ بِسَبَبٍ أَنْ بِلَادِي أَحْمَلُ، وَخُصُوصًا وَهِيَ فِي نَارِ الحروب، بَلْ لِأَنَّ وُعُودَ شَرَكَاتِ السياحة كُلُّهَا كَاذِبَةٌ. يَكَذِّبُونَ بِوِقَاحَةٍ. يَصَوِّرُونَ أَمْكَنَةً غَيْرُ موجودة، أَوْ هُمْ يركبونَ مُونتاجات مِنَ الصُّورِ يَسَوُونَهَا بِالفُوتُوشُوبِ"[9]. وهذا ما يعكس خيبة أمل عميقة نابعة من خيانة الثقة وعدم صدق شركات السياحة في تقديم الصورة الحقيقية عن الوجهات السياحية، مما يجعل تجربة السفر ليست كما يروّج لها.

. ثانيا-الذات المستلبة وتشظي الهوية

إن الاغتراب هو من سبب من أسباب فقدان الهوية، فالإنسان المغترب تتغير سلوكاته وطباعه حين يفقد ذاته فيصبح عدوانيا وهو ما نجده مع أحد ابطال الرواية قائلا "خائف مرعوب، وحيد مستوحش وعدائي مذ تحرك القطار وعندي رغبة عميقة في إيذاء شخص لا اعرفه حتى لا أجد له أعذارا شخص ليس لي أي نوع من الصلات به، أطلق رغباتي من دون استعمال عقلي، إذ يبدو لي أحيانا أن عقلي هو عدوي الأول"[10]. تعيش هذه الشخصية صراعا داخليا بين العقل والعاطفة، وحالة من الضياع والخوف والعدوانية فيصبح الوجود عدم، يشير حسن حنفي إلى ظاهرة الاغتراب وفقدان الوطن الذي يؤدي بالإنسان إلى تشظي الهوية، خاصة عندما يشعر أن حياته دون معنى قائلا فـ "يؤدي فقدان الهوية أي الاغتراب إلى ردي فعل متضادين مثل العزلة والانطواء أو الانتشار والعنف"[11].فقد اختارت شخصيات الرواية الرسائل المكتوبة كبديل للبوح والتعبير عن مكنوناتهم التي تعكس مشاعر الاغتراب والوحدة.

تستخدم الكاتبة **هدى بركات** أسلوب التراسل لتجسيد هذا التشظي، حيث تتناوب الرسائل بين شخصيات تعيش في غربات مختلفة، تعكس صراعاتها النفسية والاجتماعية، "هدى بركات تأخذ القارئ إلى الضفة الأخرى، ضفّة المنزوعين أصلاً من قراهم ومدنهم وعوائلهم وقناعاتهم . ليجدوا أنفسهم متسولين عاطلين في دول أخرى وأمام خيارات أخرى."[12]. وتكشف عن محاولات فاشلة لاستعادة الذات وسط عالم يزداد غربة وتعقيدًا. يظهر ذلك جليًا في استعادة البطل لماضيه عبر الفلاش باك، حيث يتنقل بين ذكرياته المؤلمة وحاضره المليء بالشكوك، وهو ما يعبر عن انقسام هويته بين الماضي العربي والحاضر الغربي لأن "الغربة تتضاعف فتصير غربتين غربة الأرض وغربة الموت، وهذه الأخيرة أبعد صور الاغتراب إمعانا في الرهبة والجزع"[13]. تتجلى تيمة الهوية في رواية "بريد الليل" لهدى بركات من خلال رسائل أبطالها الذين يعكسون صراعاتهم النفسية والاجتماعية في مواجهة واقع اللجوء والتشرد. تبدأ الرواية برسالة شاب يكتب إلى والدته، يعبر فيها عن انكساراته في الغربة، حيث فقد جذوره وواجه قسوة الأم التي أرسلت به بعيدًا عن وطنه المدمر، فيقول: "لقد نسي والده، وفي بلاد الغربة لم يستطع أن يبني المجد الذي حلمت به أمه ."هذا النص يعكس تشظي الهوية بين وطن مفقود وغربة قاسية. "فمهما احتلت الأرض فإن الروح لا يحتل الوطن شقيق الروح"[14].

تنتقل الرواية إلى شخصيات أخرى مثل الشاب السوري الذي تحول من ضحية تعذيب إلى جلاد، ثم إلى لاجئ مشرد في أوروبا، حيث يعاني من فقدان ذاته وهويته وسط مجتمع جديد لا يرحب به، كما يظهر في رسالته التي تعبر عن الندم والرغبة في العودة رغم ماضيه المظلم .كذلك، تعكس رسالة الفتاة المصرية المعاناة من الظلم الأسري والاجتماعي، وتحولها إلى مومس في بلاد الخليج، حيث تتبدل هويتها تحت وطأة الفقر والقهر، فتقول: "صارت حياتها أريح لكنها امتهنت

نفسها أكثر" بذلك، تقدم "بريد الليل" رؤية عميقة ومعقدة للهوية في زمن الحرب واللجوء، حيث تتحول القصص الشخصية إلى مرآة تعكس أزمات الاغتراب، والحنين، والبحث عن الذات وسط عالم متغير ومليء بالتحديات.

تنقل لنا الكاتبة صورة الآنا الممتهنة في مرآة الآخر الأوروبي الذي يكن العداء والحقد الدفين تجاه المهاجرين وهو ما جسدته شخصية الألباني عند تحقيق الشرطة في مقتل المرأة "هل أكلتما لحم المرأة؟ وتتسائلون لماذا تخاف منكم الناس ولماذا تكرهكم؟ يللا كل إلى بلده"[15]. هذا الآخر ينظر إلى المهاجر على أنه شخص عدواني وعنيد ومجرم وغير متحضر، ما جعل الذات العربية مهددة بالطرد حيث تجد نفسها منبوذة وغير مرحب بها في بلاد المنفى الذي انتقلت إليه، وهو ما جاء على لسان السارد "لن يسمحوا لي إذا قبضت علي الشرطة سوى بالعودة إلى البلاد، إن سمحوا، يهمهم أن يتخلصوا منا"[16]. إن الاندماج في الغربة لم يكن أمرًا يسيرًا، فقد واجهت الشخصيات صعوبات ومخاطر متعددة جعلت التكيف مع الواقع الجديد مهمة شاقة للغاية. تتجلى في أحداث الرواية المواقف العدائية التي يكنها الآخر الأوروبي تجاه المهاجر العربي.

ثالثا-اضطهاد المنفى وتسلط الذاكرة

يعد استحضار الذاكرة مكونا جوهريا في تشكيل واقع الكتابة التي تتأرجح بين المنفى والاغتراب، مما يزيد من تصاعد حدة الشوق والحنين إلى الماضي، حيث تستند الكاتبة **هدى بركات** على تكثيف التذكر في صياغة نسيج عالم الحكي، جاعلا من نصه رواية ذاكرة بامتياز ؛ فلطالما شكلت الذاكرة أحد استراتيجيات الكتابة الروائية عن المنفى؛ لأن "ذاكرة رواة المنفى وشخصياته ذاكرة ممزقة في الغالب، ومشتتة ، وغير مرتبة، ومبعثرة الأحداث والمشاهد ، فإنها ذاكرة تعمل - من بين طرائق اشتغال آلياتها السردية - على محيط دائري"[17]. فالشخصيات المنفية تسترجع الأيام الغابرة وتعود بذاكرتها إلى الأيام السعيدة والحزينة، حيث الروح محبوسة في ذكريات الألم والحنين إلى الوطن ."شعور المنفى له أدوار قاتلة في إبقاء الغربة ملتصقة بالروح وساكنة الوجدان، فمزاج المنفيين لا يفارق اللاجئ في حله وترحاله، ينظر إلى العالم بمنظار الغريب الذي لا يريد الاندماج بل قد يعاديه"[18]. أي أن الغربة ليست مجرد تغير مكان، بل هي حالة نفسية عميقة تؤثر على هوية الإنسان ونظرته للعالم، قد تجعله معزولًا ومنفصلًا وربما معاديًا للمجتمع الجديد.غ

في تجربة المنفى، تغدو الذاكرة رفيقاً وجودياً لا يمكن الفكاك منه، إذ تحدد طريقة استدعائها للماضي ملامح الحاضر وتوجه بوصلة المستقبل وأن "المنفى والذاكرة يسيران معا بالتعريف تقريبا، فإن نما يتذكره المرء من الماضي والكيفية التي يتذكر بها هو ما يحدد كيف ينظر هذا المرء إلى المستقبل"[19]. فالمنفي حتى يقاوم مشاعر الاغتراب ويتغلب عليها يعود إلى الماضي حيث تسرد إحدى شخصيات الرواية عن طعم الفاكهة في وطنها وتصف طعمه الذي لا مثيل له، تقول:

ولكني أتذكر طعم الأكيندنيا، ذلك الذي لن يعود أبدا بتلك الحلاوة، حيث يجمل الحنين الأشياء التي لا تستعاد"[20] ينحو أبطال رواية **بريد الليل** نحو السوداوية ، فالمنفي نجده يحمل سجنه أينما ذهب، ويذكر وطنه في كل حين، ويشتد وجعه عندما يدرك أن وجوده الفاعل يجب أن يكون هناك في الوطن، وليس في المنفى فيسعى جاهدا إلى استحضار الوطن في صورة واحدة غالبا ما تكون قاتمة حتى وإن كانت الذكرى جميلة ومفرحة، وهو ما جاء على لسان أحد شخصيات الرواية في رسالتها تتذكر كيف كانت صبية يافعة وكان الأمن يعم وطنها لكن فاجعة أصابته فدمرت كل جميل فيه، تقول: "كي أراك، وأرى معك كيف كنت أنا صبيّة وكيف كان الربيع جميلا وقويا في البلاد، البلاد الذي انقضت، وقعت وتشطت كآنية كبيرة من الزجاج"[21]. تعبر الشخصية في هذا المقطع، عن لحظة استرجاع للذاكرة والحنين إلى الماضي، حيث تتخيل نفسها مع شخص آخر يشاركها الرؤية نفسها عن طفولتها وأيام الربيع الجميلة في وطنها. تستخدم الشخصية صورة "البلاد التي انقضت، وقعت وتشظت كآنية كبيرة من الزجاج" لتصوير الوطن الذي تحطم وتفتت بفعل الأحداث المؤلمة مثل الحرب أو النزوح، مما يعكس شعورها بالحزن والتمزق الداخلي. هذا الوصف يبرز حالة التذكر التي تعيشها الشخصية، فهي تستعيد صورة الماضي الجميل الذي لم يعد موجوداً، وتواجه واقعاً جديداً مليئاً بالانكسار والضياع، مما يعكس عمق الألم والحنين الذي يرافقها في رحلتها.

تسترجع شخصية أخرى ذكريات طفولتها السعيدة مع والدها، محاولة بذلك التخفيف من آلامها وصراعاتها اليومية التي تواجهها في المهجر. فتقول: "لا يكفي أن أتأمل الفتوغرافية الكثيرة، تلك التي كنا فيها قريبين كأني من جسدك، تلك التي تلاعبني فيها، أو تطعمني، أو تحملني عاليًا، أو تنحني سريري وتلك حيث تُريني ضاحكًا وفخورًا لأمك وأبيك، وحيث تحمل شنطتي في طريق المدرسة وحيث نأكل البوظة وأنا أبكي لأنها ذابت وسالت حتى كوعي"[22].يبرز في هذا المقطع، استحضار الشخصية لذكريات طفولتها المليئة بالدفء والحنان مع والدها، حيث تصف اللحظات الحميمة التي جمعتها به عبر الصور الفوتوغرافية التي توثق أوقات اللعب والمشاركة والفرح. ما يعكس عمق العلاقة العاطفية التي شكلت جزءًا من هويتها وأمانها النفسي، حيث تحاول الشخصية أن تجد في الماضي ملجأً من الألم والغربة، وتستعيد من خلال الصور والأحداث الصغيرة شعور الانتماء والحب الذي فقدته في واقعها

خاتمة:

- ❖ تعد ظاهرة أدب اللجوء من القضايا الجوهرية المرتبطة بالوجود الإنساني، مما جعله محوراً رئيسياً للعديد من الدراسات الأدبية والفكرية، وحاضراً في ثقافات ومجتمعات متعددة. تتغير موضوعات أدب اللجوء بتغير الزمان والمكان.

- تسلط رواية بريد الليل الضوء على معاناة اللاجئين المستمرة، وتعبر عن شعورهم الدائم بالنفي والاغتراب والحنين إلى الوطن. وهكذا، يصبح أدب اللجوء وسيلة لتصوير تجارب التشرد والبحث عن الهوية في ظروف قاسية ومتغيرة.
- تبرز رواية "بريد الليل" كيف يؤثر المنفى الأغترابي بشكل كبير على تشظي الهوية الشخصية للمعتقلين. عند وضعهم في بيئة معادية وغريبة عن ثقافتهم وتقاليدهم، ليجدوا أنفسهم في مواجهة تحديات كبيرة في الحفاظ على هويتهم .يتعين عليهم التكيف مع ظروف جديدة وتعلم التعايش، مما يؤدي إلى تغييرات في تصوراتهم الذاتية وتجاربهم الشخصية. حيث يجدون أنفسهم في حاجة إلى إعادة تعريف أنفسهم في ظل الظروف الصعبة داخل بلدان اللجوء.
- أنّ رواية *بريد الليل* لا تتعامل مع المنفى بوصفه انتقالًا جغرافيًا أو نفيًا سياسيًا فحسب، بل تعيد صياغته كـ **تجربة وجودية شاملة** تلامس أعماق الكينونة الإنسانية. فالمنفى عند هدى بركات يتجلى في الانفصال عن الذات قبل الانفصال عن الوطن، ما يجعل الاغتراب الداخلي أكثر وطأة من الاغتراب الخارجي.
- تصور رواية بريد الليل نماذج إنسانية تعيش واقعا مأساويا تجهض فيه الأحلام وتمتهن فيه الذات الإنسانية التي تجد نفسها مشتتة في بلدان اللجوء.
- برزت في الرواية صورة **الاغتراب كظاهرة مركبة**، تتداخل فيها أبعاد نفسية (العزلة، الإحباط، الانكسار)، واجتماعية (تفكك الروابط الإنسانية، انهيار الأسرة)، وسياسية (الحروب، العنف، القمع). هذا التداخل يكشف عن أنّ المنفى ليس مجرد وضعية ظرفية، بل هو نتاج تاريخ طويل من الصراعات التي تترك أثرها في الوعي الفردي والجماعي.
- تعتمد كاتبة الرواية على رسائل شخصية تعكس هذه الثنائية، حيث تتصارع الشخصيات بين هويتها العربية الأصلية وواقع الغربة الذي يفرض عليها تأقلمًا قسريًا، فتتبدد الحدود بين الذات والآخر، ويصبح الشعور بالاغتراب والتمزق النفسي سمة أساسية. فتتحول الكتابة (عبر أسلوب الرسائل) إلى محاولة يائسة لترميم هذا التمزق والشرخ، لكنها في الوقت نفسه تكشف عن استحالة إعادة بناء هوية مستقرة في ظل الغياب والانكسار. في بلدان المنفى.
- تكشف هدى بركات من خلال هذه المرآة كيف تتحول الهوية العربية إلى صورة مشوهة في عيون الآخر، تعكس أزمات اللاجئ بين الانتماء والرفض، بين الحنين للوطن والألم في الغربة، مما يجعل "الآنا" العربية في الرواية رمزًا للضياع والبحث المستمر عن الذات في عالم متغير ومتشظي.

الهوامش

[1]- هدى بركات هي روائية لبنانية ولدت عام 1952 بالبلدة المارونية بشرى وعاشت هناك حتى انتقلت لبيروت لتدرس الأدب الفرنسي بالجامعة اللبنانية، تخرجت في عام 2599وتلي تخرجها بسنة سفرها إلى باريس حيث بدأت دراستها العليا وزامن دراستها في ذلك الوقت الحرب الأهلية اللبنانية مما اضطرها للعودة إلى لبنان مرة أخرى، وفي تلك الفترة بدأت عملها في لبنان في مجالات التدريس والترجمة والصحافة، من أهم أعمالها الإبداعية حجر الضحك، بريد الليل..الخ.

[2]- محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي مقاربه موضوعاتيه للخطابات الشعريه ، دار الكتاب الحديث، الجزائر،2010ص. 47.

[3]- محمود عبد الشكور، ونس الكتب، منشورات ابييدي، مصر، 2021، ص70.

[4]- محمد السلوم، أدب اللجوء السوري الشتات والتعبير الأدبي، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قطر، 2018، ص02،

[5]- هدى بركات، بريد الليل، دار الآداب للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 2018. ص59،

[6]- المصدر نفسه، ص09.

[7]- المصدر نفسه، ص09.

[8]- صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2003، ص 44.

[9]- هدى بركات، المصدر السابق، ص43.

[10]- المصدر نفسه، ص09.

[11]- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، 2012، ص25.

[12]- محسن جاسم الموسوي، بنية الاضطراب الرواية العربية في الألفية الثالثة، دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي، 2023، ص40.

[13]- سالم عبد الرب السلفي، البنى الأسلوبية في شعر الغربة ص82.

[14]- حسن حنفي، المرجع السابق، ص82.

[15]- حسن حنفي الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، 2012، ص25.

[16]- هدى بركات، المصدر السابق، ص59.

[17]-محمد شحات، سرديات المنفى، ص104.

[18]- شذى محمد فاعور، السيرروائية العربية نماذج أدبية مختارة، دار الخليج، عمان، الأردن، ص137.

[19]- ادوارد سعيد، خارج المكان، تر فواز الطرابلسي، ط1، دار الآداب، لبنان، بيروت، 2000، ص22.

[20]- هدى بركات، المصدر السابق، ص41.

[21]- المصدر نفسه، ص41

[22]- المصدر السابق، ص41

قائمة المصادروالمراجع

المصادر

1. هدى بركات، بريد الليل، دار الآداب للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 2018

المراجع العربية

2. ادوارد سعيد، خارج المكان، تر فواز الطرابلسي، ط1، دار الآداب، لبنان، بيروت، 2000.
3. حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، 2012
4. شذى محمد فاعور، السيرروائية العربية نماذج أدبية مختارة، دار الخليج، عمان، الأردن.
5. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات منيف، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2003
6. محسن جاسم الموسوي، بنية الاضطراب الرواية العربية في الألفية الثالثة، مركز أبوظبي دائرة الثقافة والسياحة، 2023.
7. محمد السلوم، أدب اللجوء السوري الشتات والتعبير الأدبي، ط1، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، يناير 2018
8. محمد الشحات، سرديات المنفى الرواية العربية بعد عام 1967، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2006.
9. محمد الشحات، سردية عبد الرحمن منيف، لا وعي المنفى والهوية الجوالة، ع36، مجلة دراسات، اتحاد الكتاب والأدباء، الامارات، 2024.
10. محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي مقاربه موضوعاتيه للخطابات الشعريه، دار الكتاب الحديث، الجزائر،2010.
11. محمود عبد الشكور، ونس الكتب، منشورات ابييدي،مصر، 2021.